المحاضرة الرابعة:

إرهاصات التجديد في النقد العربي الحديث

عناصر المحاضرة:

- تمهيد.

1- نجيب الحداد.

2- حسن توفيق العدل.

3- خليل مطران.

تمهيد:

إن أولى إرهاصات التجديد في النقد الأدبي العربي الحديث؛ هي تلك النظرة التي انتقلت من الدعوة إلى النسج على منوال القديم، إلى ضرورة الاطلاع على ثقافة الغرب، وقد استمد النقاد المجددون آراءهم ومحاولاتهم النقدية من دراستهم للأدب والنقد الغربيين؛ فكانت المقالات في هذه المرحلة تنشر الوعي بتلك الضرورة في الانفتاح والاتصال بالثقافة الأجنبية، والانفصال عن الطابع التقليدي المحافظ.

وقد احتدم الصراع بين المحافظين الذين تمسكوا بهدف نشر التراث وإحياء قيمه الفنية وقضاياه النقدية، والمجددين الذين يدعون على الخروج عن دعوة المحافظين في الأدب والنقد، وإن الصراع بين هؤلاء وهؤلاء قد اجتاز مراحل مختلفة أسفرت كل منها على تجاوز القيم القديمة[1].

وبذلك دخل الأدب والنقد العربيان مرحلة حاسمة في تاريخه؛ قادها أفراد يتمتعون بثقافة عربية وغربية واسعة.

وبدأت صورة النقد الأدبي العربي تتغير وتتطور؛ فلم يعد مقصورا على تذوق النصوص وتحليلها، بل تطور إلى المقارنة بين الأدبين العربي والغربي، كما بدأت الكتابات النقدية تعنى بفنون جديدة كالمسرح والنقد القصصي والمقالة الأدبية، وظهر الجدل حول قضايا نقدية جديدة خاصة ما كان منها حول الشعر؛ وذلك تبعا للتجديد الذي طرأ على القصيدة العربية في المضمون والشكل.

والمتتبع للكتابات النقدية خلالها، يجد أن إرهاصات الانفتاح على آداب الأمم الأوروبية بدأت تأخذ طريقها في الربع الأخير من القرن التاسع عشر؛ عبر مقالات متناثرة في الصحف والمجلات بأقلام نقدية عديدة مثل: قسطاكي الحمصي، ويعقوب صروف، وإبراهيم اليازجي، ونجيب الحداد، وحسن توفيق العدل وغيرهم.

[1]– ينظر: عبد الحي دياب، التراث النقدي قبل مدرسة الجيل الجديد، ص69.

1- نجيب الحداد*:

قام الشيخ نجيب الحداد بموازنة بين الشعر العربي والشعر الغربي في المعنى واللفظ والقافية؛ باحثا عن مواضع الاتفاق والاختلاف بينهما، وغايته من ذلك هو الوقوف على سمات الشعر الغربي، ليضع أمام المجددين حقائق عن الشعر الغربي يسيرون على هديها.

أما في المعنى؛ فقد ذهب إلى أن الشعر الغربي لا يفتقد شيئا من جمال معانيه بترجمته إلى لغة أخرى، سوى ما كان عليه من النظم والقالب الشعري؛ إذ رأى أن شعراء الغرب يعولون في نظمهم على دقة المعاني وحقائق الأفكار أكثر من مما يعتمدون على زخرفة الألفاظ والأساليب.

أما الفرق اللفظي؛ فهو ما تعلق بالوزن والقافية؛ ذلك أن وزن الشعر عندنا يختلف عن الوزن عندهم، فالشعر العربي يقوم على التفاعيل، والشعر الغربي يقوم على الأهجية اللفظية؛ وهي النبرات الصوتية المعتمدة على حروف المد سواء كانت وحدها أو متصلة مع بحرف صحيح، ويسمون هذه الأهجية (أقداما)، كما يسوغ للشاعر عندهم الاختلاف في طول الأبيات الشعرية (من اثنتي عشر أهجية وينزل تدريجيا إلى أهجية واحدة)، ووصل بيتين في اللفظ والمعنى، كما لا تلزم القافية عندهم في أكثر من بيتين[1].

ويرجح أن تكون هذه أول موازنة نقدية بين الشعر العربي والغربي، على ان الشيخ 'نجيب الحداد' لم يتتبع في موازنته كل عناصر الشعر وسماته، لكنها أبانت عن سعة اطلاعه وقراءته للشعر العربي والغربي[2].

---

*- الشيخ نجيب الحداد: أديب سوري ولد سنة 1867م، اشتغل بالصحافة والأدب، هاجر إلى مصر عام 1873م، وتوفي بها سنة 1899.

[1]- عمر الدسوقي، في الأدب الحديث، ج2، ص201.

[2]- ينظر: عبد الحي دياب، التراث النقدي قبل مدرسة الجيل الجديد، ص85- 89، وينظر: مصطفى لطفي المنفلوطي، مختارات المنفلوطي، بعناية: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2002م، ص213.

2- حسن توفيق العدل*:

قدم 'حسن توفيق العدل' محاولة نقدية جديدة في دراسة الأدب العربي؛ مثلها كتابه (تاريخ آداب اللغة العربية)، الذي ألفه في أواخر القرن التاسع عشر، وهو عبارة عن محاضرات ألقاها على تلاميذه في دار العلوم حين كان أستاذا للأدب العربي بها، وتقوم محاولته النقدية على الإفادة من معرفة الآداب الأوروبية ومناهج الدراسة فيها في الدراسات الأدبية العربية.

وذهب إلى أن "تاريخ آداب اللغة لأي أمة يبحث عن الحياة العقلية والبيانية للأمة في عصورها المختلفة، وعن نشأة لغتها وتدرجها، ومدوناتها، وتاريخ أدب اللغة تابع في تقسيمه للتاريخ السياسي أو الديني في كل أمة"[1].

ومن ثم قسم الكلام على تاريخ آداب اللغة العربية إلى خمسة عصور: الأول عصر الجاهلية، والثاني عصر ابتداء الإسلام، والثالث عصر الدولة الأموية، والرابع عصر الدولة العباسية والدولة الأندلسية، والخامس عصر الدول المتتابعة إلى عصره[2]، ولذلك عد كتابه (تاريخ آداب اللغة العربية) أول محاولة في البعث والتجديد النقدي في كتاب بأكمله.

*- ولد حسن توفيق العدل بالإسكندرية سنة 1862م، درس بالجامع الأزهر ودار العلوم، سافر إلى ألمانيا وانجلترا حيث عمل أستاذا بجامعة كامبريدج، توفي سنة 1902م بإنجلترا ودفن بمصر، من أعماله: أصول الكلمات العامية، حياة العرب قبل الإسلام، تاريخ آداب اللغة العربية.

[1]- حسن توفيق العدل، تاريخ آداب اللغة العربية، ص 7 وما بعدها، نقلا عن: عبد الحي دياب، التراث النقدي، ص90.

[2]- ينظر: عبد الحي دياب، التراث النقدي، ص90- 93.

3- خليل مطران*:

يعد الشاعر 'خليل مطران' رائدا من رواد النقد الحيث؛ وذلك بمقالاته التي نشرها عام 1900م وما بعدها، وبمقدمة ديوانه الذي صدر سنة 1908م، فقد عرف التجديد في الشعر كيف يكون، وفهم جوهر الشعر على حقيقته وكان من المجددين في بناء القصيدة.

وتتضمن محاولته في حركة التجديد ثورته على الشعر العربي القديم ودعوته إلى التجديد في الشعر بقوله: "أدرك في هذه الأيام أن اللغة غير التصور والرأي، وأن خطة العرب في الشعر لا يجب حتما أن تكون خطتنا، بل لهم عصرهم ولنا عصرنا، ولهم آدابهم وأخلاقهم وحاجاتهم وعلومهم، ولنا آدابنا وأخلاقنا وحاجاتنا وعلومنا؛ ولهذا وجب أن يكون شعرنا ممثلا لتصورنا وشعورنا، لا لتصورهم وشعورهم، وإن كان مفرغا في قوالبهم، محتذيا مذاهبهم اللفظية"[1]؛ فدعوته واضحة إلى تغيير المضامين الشعرية بما يوافق العصر.

كما دعا إلى وحدة القصيدة، وتماسك أبياتها بعضها ببعض؛ لأنه لم يجد في الشعر العربي ارتباطا بين المعاني ولا تلاحما بين أجزاء القصيدة الواحدة، وقد قدم في شعره قصائد جديدة في مادتها، وطريقة عرضها لاسيما القصائد القصصية مثل: (العصفور)، و(فتاة الجبل الأسود)، و(الحنين الشهيد) وغيرها من القصائد، وتأثر مطران في ذلك بالمدرسة الفرنسية في الشعر، وإن كان مجددا في الشعر فقد حاول أن يجمع بين القديم والجديد في الأغراض والشكل الشعري[2].

---

*- خليل مطران شاعر لبناني ولد سنة 1872م، تلقى تعليمه ببيروت ونهل اللغة العربية عن أستاذه الأديب إبراهيم اليازجي، سافر إلى فرنسا ودرس الآداب الفرنسية، ثم انتقل إلى مصر وتوفي بها سنة 1949م.

[1]- خليل مطران، الكتاب أمس والكتاب اليوم، المجلة المصرية، القاهرة، العدد الثالث، 1900م، ص85، نقلا عن: عبد الحي دياب، التراث النقدي قبل مدرسة الجيل الجديد، ص96.

[2]- ينظر: عمر الدسوقي، في الأدب الحديث، ج2، ص222- 223.

كانت هذه بعض المحاولات النقدية التي شكلت إرهاصات التجديد في النقد الأدبي العربي الحديث، الذي بدأت تتضح ملامحه وتكتمل معالمه مع ظهور مجموعة من المدارس النقدية مثلت أبرز سمات هذه المرحلة من النقد العربي وأبرزها: جماعة الديوان، والرابطة القلمية، وجماعة أبولو...؛ التي تعد أهم الظاهر الأدبية والنقدية التي عكست تطورات الأدب والنقد العربيين في القرن العشرين.